صفحة تصدر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية
iraqipa@hotmail.com

استشارات نفسية

هبوط ضغط الدم

★ أنا سيدة في الأربعين من عمري،أعاني من هبوط ضغط الدم.وكثيراً ما أتعرض الى الإغماء بالرغم من انتظامي على أخذ العلاج.أرجو مشورتكم،مع التقدير.
أم عمر / بغداد
السيدة الفاضلة ام عمر :
يعني هبوط ضغط الدم أن جريان الدم في الأوعية الذاهبة الى الدماغ قد أصبح بطيئاً،وأن كمية الدم الواصلة إليه أقل مما يحتاجه،فينجم عن ذلك هبوط في نشاط الدماغ،الأمر الذي يؤدي الى فقدان الوعي وحدوث ما نسميه ((الموعه)) أو الإغماءة.
ولهبوط ضغط الدم أسبابه،أهمها :الخمول والكسل والجلوس مدة طويلة دون حركة نشطة،مما يؤدي الى تجمع الدم في القدمين والساقين.وعند القيام المفاجيء من حالة استلقاء لساعات،يتأخر وصول الدم الى القلب،ولا يستطيع إيصاله الى الدماغ في اللحظة المناسبة،فيهبط ضغط الدم.
ومن أسبابه أيضاً،تناول أدوية خاصة بالقلب وأمراض الشريان التاجي،لا سيما لدى كبار السن،أو فقدان سوائل من الجسم بسبب الإسهال،فضلاً عن الإصابة بمرض السكري.ننصحك بعدم الجلوس والاستلقاء لمدة طويلة دون حركة.ولا تقومي من فراشك بشكل مفاجيء،لأن هذا قد يعرضك الى الشعور بالإغماء والدوار والارتباك.ولا تتناولي العلاج الا باستشارة الطبيب الاختصاصي،لأن بعض الأدوية تسبب الهبوط في ضغط الدم.وتناولي كمية مناسبة من السوائل،مع بعض الزيادة في ملح الطعام،واكثري من الحركة في البيت إن لم تكوني قادرة على ممارسة بعض التمارين الرياضية البسيطة،مع تمنياتنا لك بالصحة الدائمة.
للاستشارة،يمكنكم الكتابة إلينا عبر بريدنا الالكتروني المثبت في أعلى الصفحة.

في مقابلات مع موظفات في مدينة الكوت:

تحسن الرواتب عزز مكانتنا الاجتماعية لكنه ورّطنا في صراعات جديدة مع الرجل

علي كاظم الشمري
جامعة واسط

يؤكد علماء النفس والاجتماع أن المهمة الأساسية للإنسان في الوجود هي العيش والتفاعل ضمن مجموعة،ويعد ذلك أمراً ضرورياً لنموه النفسي و المعرفي،بل البدني أيضاً.والدراسات بمحصلتها أثبتت أن الفرد لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الحلقات المجتمعية المحيطة به في تلبية حاجاته الفزيولوجية والنفسية والاجتماعية.

وحتى في الاطار الوراثي فإن بعض المصادر تشير إلى أن الإنسان كائن اجتماعي بالفطرة،يخرج الى الحياة وهو يبحث عن أناس حوله،و يستمر في نموه الفزيولوجي الذي يحتاج الى إطار اجتماعي كي يظهر ويتطور،اذ تؤكد بعض الدراسات في هذا المجال أن تقدم النمو البايولوجي للفرد مرهون بما يحصل عليه من تعلم اجتماعي،كماً و نوعاً.وباستمرار العملية الاجتماعية تفرض على الفرد حقيقة أن يكون ذا دور محدد في إطار المجموعة التي ينتسب اليها، سواء أكانت أسرته أو أي جماعة خارجية.
بهذا المعنى فإن الانسان كائن متفاعل مع محيطه وفاعل فيه.وإن هذا التفاعل و الفاعلية يكونان محكومين في إطار المنظومة الثقافية (الأعراف والعادات والتقاليد والقيم) لمجتمعه،و بالتالي أيضاً سيتحدد الدور الذي يمكن أن يؤديه الفرد ضمن هذا الاطار. ويطرح لنا علماء الاجتماع في هذا المجال ما يصطلح عليه بـ(المكانة) Status،وهي التي سيتحدد في ضوئها حجم الدور الاجتماعي Social Role الذي يمكن أن يقوم به الفرد،إذ تعرّف (المكانة) بأنها منزلة أو مركز يتبوؤه فرد ما أو جماعة ما داخل نظام اجتماعي معين. وتؤكد التنظيرات الاجتماعية أن هناك عناصر عدة ذات أثر في المكانة،أهمها: المال أو الثروة،والسلطة والنفوذ،والنسب والهيبة،والمستوى التعليمي، ونوع المهنة.وبالرغم من أن غالبية المجتمعات تتفق على أثر تلك العوامل في تحديد المكانة،إلا إننا قد نجد تبايناً في مدى أهميتها من مجتمع لآخر.فمثلاً قد نجد حجماً أكبر لعامل الثروة في تحديد المكانة في المجتمعات الرأسمالية،بينما نجد أثراً أكبر لعامل النسب على سبيل المثال لا الحصر في المجتمعات الشرقية،ومنها المجتمعات العربية.كما قد نجد في مجتمعنا العراقي تقييماً عالياً لحامل الشهادة الأكاديمية العليا حتى وإن لم يكن يمتلك ثروة.ويجدر القول أيضاً،أن بعضاً من تلك العناصر يتسم بالتغير،وبعضها الآخر يتصف بالثبات النسبي.فالثروة مثلاً معرضة للتناقص والزيادة،وكذلك السلطة،وبالتالي فإن المكانة الاجتماعية لأصحابها قد تتأثر هبوطا وصعوداً.أما بالنسبة للنسب أو الشهادة فإنها ثابتة الى حدٍ ما،مما يعني أن المكانة الاجتماعية المترتبة عليها ستكون مستقرة أيضاً الى حد ما.

المرأة المتزوجة أصبحت تناصف زوجها الى حد ما في اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة

وفي العراق،شهد راتب الموظف العراقي تحسناً نسبياً في الآونة الاخيرة،بعد عقود قضاها في ضنك العيش،اذ كان راتبه لا يفي بأبسط مستلزمات الحياة في ظل النظام السابق،فأصبح اليوم قادراً على تلبية حاجاته الاساسية جزئياً،وكذلك مواكبة التطور التكنولوجي من خلال اقتنائه لمنظومات الستلايت و الهاتف المحمول.وبالنسبة للنساء الموظفات،وهن المعنيات هنا،فإننا نلحظ إقبالهن على تلبية بعض الحاجات التي تمثل أساسيات لكل امرأة،كالملابس والمصوغات الذهبية،بالرغم من إنها قد تحسب على أنها كماليات من قبل المحيطين بها كالرجال وبقية أفراد الأسرة.ولأن هذه القفزة النسبية في مستوى الدخل المعيشي يمكن أن تؤثر مباشرة (كما أسلفنا) في تطوير مكانة المرأة العراقية الموظفة،سعينا لمتابعة هذه القضية ميدانياً،بإجراء مقابلات وحوارات في مدينة الكوت،مع موظفات في بعض الدوائر الحكومية،بلغ عددهن (٣٠) موظفة،منهن (١٨) عزباء و (١٢) متزوجة،حيث جرى توجيه سؤال أساسي إليهن هو: ((ما تأثير زيادة راتبك الشهري على مكانتك داخل الأسرة؟)) .وقد كانت حصيلة النتائج على الوجه الآتي:
اكدت غالبية الموظفات في العينة أن تحسن الرواتب هذا كانت له آثار ايجابية على المرأة الموظفة العزباء و المتزوجة على حدٍ سواء،إذ صار بمقدورهن إشباع بعض حاجاتهن الضرورية،ولكن أيضاً كان لهذا الإجراء الذي طال انتظاره آثار جانبية سلبية،فقد أصبح سبباً في ظهور مشكلات بدأت تتضح آثارها جلية على حياة المرأة الموظفة نفسياً واجتماعياً. ويلاحظ أن نمط تلك المشكلات يختلف وفقاً للحالة الاجتماعية للموظفة،أي في ما اذا كانت عزباء أو متزوجة :

مشكلات الموظفة العزباء

بعد أن أصبح للمرأة الموظفة دخل شهري جيد،انعكس ذلك على ارتفاع قيمتها داخل محيط أسرتها،و بدأت تشترك في معظم فعاليات الأسرة و قراراتها،وأصبح لها رأي في مختلف القضايا التي تواجه الأسرة وتحكم علاقتها بالمجتمع.كذلك أصبحت تشترك في الكثير من الفعاليات الرسمية والاجتماعية في محيطها الوظيفي،بما جعلها أكثر فاعلية في أنشطة الدائرة و قراراتها،أي يمكن القول أن مستوى الراتب عزز من مكانتها الاجتماعية عموماً في نطاق الاسرة والمجتمع .ولكن في جانب آخر،بدأت تظهر مشكلات ومواقف أصبحت تشكل عوائق حقيقية أمام حياة البنت وتؤثر على صحتها النفسية و الاجتماعية،إذ باتت محل متابعة و مراقبة أكثر من قبل الاهل،وتحسب عليها تحركاتها و علاقاتها الاجتماعية،فضلاً عن وقوف الأسرة حائلاً أمام مشروعات في غاية الاهمية على مستوى حياتها المهنية كإكمال الدراسة مثلاً،أو السفر بإيفادات داخل أو خارج البلاد لتطوير مهاراتها المهنية والوظيفية، أو على مستوى حياتها الشخصية كالزواج مثلاً، فهي أصبحت مصدر قوة اقتصادية لأسرتها،من الصعوبة التفريط به.

تنامي المكانة الاقتصادية للموظفة العزباء جعل أسرتها تقف حائلاً أمام زواجها

تشترك في معظم فعاليات الأسرة و قراراتها،وأصبح لها رأي في مختلف القضايا التي تواجه الأسرة وتحكم علاقتها بالمجتمع.كذلك أصبحت تشترك في الكثير من الفعاليات الرسمية والاجتماعية في محيطها الوظيفي،بما جعلها أكثر فاعلية في أنشطة الدائرة و قراراتها،أي يمكن القول أن مستوى الراتب عزز من مكانتها الاجتماعية عموماً في نطاق الاسرة والمجتمع .ولكن في جانب آخر،بدأت تظهر مشكلات ومواقف أصبحت تشكل عوائق حقيقية أمام حياة البنت وتؤثر على صحتها النفسية و الاجتماعية،إذ باتت محل متابعة و مراقبة أكثر من قبل الاهل،وتحسب عليها تحركاتها و علاقاتها الاجتماعية،فضلاً عن وقوف الأسرة حائلاً أمام مشروعات في غاية الاهمية على مستوى حياتها المهنية كإكمال الدراسة مثلاً،أو السفر بإيفادات داخل أو خارج البلاد لتطوير مهاراتها المهنية والوظيفية، أو على مستوى حياتها الشخصية كالزواج مثلاً، فهي أصبحت مصدر قوة اقتصادية لأسرتها،من الصعوبة التفريط به.

مشكلات الموظفة المتزوجة

أما الموظفة المتزوجة فإنها أصبحت تشكل قوة أكبر في البيت من ذي قبل مع مستوى الراتب الحالي،وأصبحت الى حدٍ ما تناصف الرجل في اتخاذ القرارات على مستوى شؤون البيت وتربية الاطفال،و كذلك الفعاليات التي تحكم علاقة البيت بالمحيط الخارجي،بما جعلها أكثر حرية في التحرك و تمثيل الأسرة.ووفقاً لمنظور النقص بالحاجات الكمالية الذي كانت تعانيه المرأة المتزوجة عندما كانت تتقاضى راتبها الضئيل السابق،ذلك أن مستوى معظم العوائل العراقية في ظروف الحصار لم يكن يتجاوز حد الكفاف،فقد أدى ذلك إلى بقاء الموظفة المتزوجة في حالة من الرغبة المزمنة لتعويض هذا النقص.إلا أن الزوج الموظف له موقف آخر من هذه الحاجات،إذ إنه يضع في سلم أولوياته اقتناء لوازم أخرى يراها أكثر أهمية للأسرة،كجهاز التكييف مثلاً.ولذلك نراه يطالب زوجته الموظفة مشاركته في رصد المبالغ المطلوبة لذلك،مما قد يحول دون طموحاتها في تلبية الحاجات التي تراها أساسية لها بعد أن حرمت منها لعقود سابقة ،كما ذكرنا.وقد اكدت معظم الموظفات المتزوجات في الاستطلاع أن هذا الأمر أصبح مثاراً لصراع و مشكلات مستمرة مع الزوج،الذي بدأ يتعامل معها وفقاً للوضع الراهن،أي بما أن لها نصف الدور في إدارة البيت،لذا يجب عليها ان تتحمل نصف المصاريف أيضاً،مادامت تمتلك القدرة على ذلك . ونرى،حسماً لهذه الصراعات العائلية،أن المرأة الموظفة وهي تطالب بحقوقها المشروعة في أن يكون لها دور في حياة أسرتها،يتوجب عليها في الوقت نفسه أن تسهم مادياً مقابل ذلك،ولا تدع لزوجها مجالاً للاحتجاج.ومن جانب آخر، فإن على الأسرة أيضاً أن تستوعب الحرمان والنقص الذي عانته المرأة الموظفة طوال السنين الماضية،وأن تقر بحقها في إشباع حاجاتها ولكن ضمن الحدود المعقولة،وأن من الأنانية و الإجحاف أن تستغل البنت من قبل أسرتها،أو أن تستغل الزوجة من قبل زوجها كونها موظفة و تتقاضى راتباً بما يصب لصالح منفعته الشخصية فقط،بل ينبغي أن يكون تحسن مستوى الرواتب عامل استقرار اقتصادي للمرأة،و بالتالي استقرار اجتماعي لها و لأسرتها بدلاً من أن يكون السبب في إثارة مشكلات قد تنعكس سلباً على صحتها النفسية،فيولد ذلك لديها قلقاً،أو اكتئاباً أو كرهاً موجهاً للعائلة،من المرجح أن تحوله على نفسها بما قد يؤدي الى عواقب وخيمة،فيصبح ذلك الراتب وبالاً على المرأة و أسرتها،بدلاً من أن يكون عاملاً في عيش هانئ وآمن،بما قد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه من حالات الطلاق و الانفصال بسبب المال.و قد تأكدنا من حصول مثل هذه الحالات من خلال حواراتنا مع الموظفات.
ولذلك، نوصي منظمات المجتمع المدني،من جمعيات اجتماعية ونفسية وحركات حقوق المرأة،وكذلك الجهات الرسمية ذات الصلة،ووسائل الإعلام،بالتعرض الى هذا الموضوع،وعقد تجمعات وندوات يضيف فيها المختصون والباحثون في المجالات النفسية و الاجتماعية،لمناقشة تلك المشكلات بهدف تبصير المواطنين بما قد يترتب عليها من معضلات اجتماعية قد لا يدركها البعض او يستبعدها،ولكي تقدم من خلال ذلك التوجيهات والإرشادات والمعالجات اللازمة للأسر العراقية،سعياً الى تعزيز مكانة المرأة في المجتمع،والى حل مثل هذه الاختناقات الاجتماعية والنفسية التي تتمخض،وبشكل غير متوقع،عن السياسات الاقتصادية الهادفة الى تحسين المستوى المعيشي لفئات تضررت ما يكفي خلال العقدين السابقين.

تحقيق

الرومانسية .... هل نقرأ عليها السلام ؟!

وئام أحمد الشمري

الرومانسية مصطلح فرنسي الأصل،كان يدل في العصور الوسطى على نوع من قصص المغامرات شعراً ونثراً،والتي تميزت بوصفها للأعمال البطولية للفرسان ذوي الدروع ممن كانوا يحاربون التنانين والوحوش ويتعهدون بأداء المهمات الخطيرة للفوز بحب امرأة ما.ثم انتقل هذا المصطلح الى الانجليزية،وأصبح يدل على الإنسان الحالم ذي المزاج الشعري،المنطوي على نفسه ؛ثم امتد معناها الى ما يشمل شبوب العاطفة،والاستسلام للمشاعر،والاضطراب النفسي،والفردية،والذاتية.

ولاحقاً أصبحت الرومانسية عنواناً لعصر أدبي نشأ في أوروبا،ممتداً من أواسط القرن الثامن عشر وحتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر.وقد اتسم أدب هذا العصر بالعاطفة الجياشة،والتوق الوجداني المتحرر نحو مختلف رموز الحياة،بعد عصور من الممارسة الجامدة للقواعد الكلاسيكية.ويعد (بايرون)،و (هيجو)،و (شوبان)،و(غوته) من أبرز أدباء ذلك العصر،ثم امتدت استعمالات مصطلح (الرومانسية) بعد ذلك لتشمل حيزاً واسعاً من النشاطات الفكرية والنفسية في العصر الحديث،إذ أصبح له دلالاته المتميزة في ميادين الفنون والسياسة والأخلاق والفلسفة والتأريخ والطبيعة البشرية.لكن (الرومانسية) في عالم اليوم صارت لها معانيها الدلالية اليومية في أذهان الناس أيضاً،فغالباً ما يوصف فرد ما بأن شخصيته (رومانسية) إذا كان سريع التأثر،متطرفاً في مشاعره وعواطفه،يميل الى الحرية والتفرد في ألفاظه وملبسه وسلوكه عامة،ويجنح الى التعبير الشاعري عن مكنوناته وهواجسه.
وفي مجتمعنا العراقي تحديداً،ارتبطت (الرومانسية العاطفية) لدى أجيال الستينيات وما قبلها،بعصر (أم كلثوم) و(محمد عبد الوهاب) و(محمد القبانجي) و(فيروز) و (عبد الحليم حافظ) و(نجاة الصغيرة)،فيما ارتبطت (الرومانسية الثورية) لديهم بعصر (جمال عبد الناصر) وقصائد (محمد مهدي الجواهري) وبسالة (الانتفاضات الشعبية) طوال سنوات الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي،بينما اقترنت (رومانسية البيت العراقي) بذكريات الناس عن شوارعهم الآمنة ومطاعمهم الشهية ومقاهيهم الحميمة وكل أشكال الصفاء الاجتماعي الذي كان سائداً بينهم قبل أن يبدأ مسلسل الحروب المتعاقبة وما نجم عنه من زرع للعنف والقسوة والأسى في ذاكرة جميع العراقيين بجميع أجيالهم.
واليوم،ونحن نشهد الأعضاء البشرية المقطعة وأجساد الأطفال المتفحمة،تملأ شوارعنا وهواجسنا وكوابيسنا،نتساءل: هل ثمة رومانسية متبقية في تطلعات مواطنينا وآمالهم ورؤاهم، أم ان الرومانسية أصبحت تحفة أثرية مكانها الذاكرة الجمعية المندثرة لهذا المجتمع المبتلى بالآلام والخيبات؟ لاستيضاح هذه التساؤلات،لجأنا الى استقصاء آراء أفراد ينتمون الى شرائح اجتماعية مختلفة،مفتتحين حوارنا معهم بهذا السؤال: ((الرومانسية في حياتنا...هل نقرأ عليها السلام ؟)).فجاءت الآراء متباينة ومتنوعة :

أصحاب النظرة الوردية

★ الطبيبة (أ.ر) تؤكد أن الرومانسية لا تزال موجودة في دواخل الناس،إلا انهم لم يعودوا يظهرونها،وهذا هو السبب الذي قد يؤدي بنا الى الاعتقاد بأنها أصبحت مفقودة من حياتنا.
★ أما السيد (عباس حسن)،وهو خاطب،فيقول انها موجودة،وهي شعور جميل جداً.
★ ويذهب سائق الأجرة (م.ع) الى القول أن الرومانسية أهم شيء في الوجود ((ماكو أحلى منها))!
★ ويصفها الطالب (محمد راجح) بأنها إكسير الحياة،وهي موجودة رغماً عنا.
★ وتشبّه المعلمة (ميسون ناظم) الرومانسية بالهواء والماء،فلا يعيش الانسان بدونها.
★ ويؤكد الموظف (عبد الله محمود) على وجود الرومانسية،ويصفها بالدفء والعذوبة.
★ وتعتقد الطالبة (زهراء جباري) بأنها أجمل إحساس في الوجود.
★ ويقول صاحب الكشك (حسن علي) عنها: إنها جزء من الحياة العاطفية،ولا يمكن أن تموت إلا عندما يتوقف القلب.
★ وبكل دقة،يحدد الشرطي (حسن علي صافي) رأيه بالقول: نموت قبل أن نقرأ عليها السلام.

أصحاب النظرة السوداوية

★ السيد عمر السامرائي،وهو متزوج،ينفي تماماً وجود الرومانسية،و يقول: ((ماكو رومانسية إطلاقاً))!
★ أما السيد (محمد عبد الجبار صالح)،وهو مطلّق،فيؤكد أن الرومانسية هي لغة الفاشلين في التعبير عن الواقع المرير.
★ وترى ربة البيت (فاطمة مظهر) ((أن الرومانسية راحت وراحت ايامها ..!))،فقد بلغت قمتها في الستينيات،ثم أصبحت في مرحلة فتور في السبعينيات،حتى اضمحلت في الثمانينيات.أما في وقتنا الحاضر،فلا وجود للرومانسية اطلاقاً لأن الناس مستغرقون تماماً في مشكلات الحياة وصعوباتها.

أصحاب الموقف الوسطي

★ يقول الدكتور (غازي لطيف): أجمل ما في الحياة أن تكون الرومانسية واقعاً نتعايش معه وينسجم معنا،لكن تلك الرومانسية تفقد قيمتها الحقيقية عندما تكون تحت مظلة الاحتلال.
★ وتحدد المهندسة (و.د) أننا بحاجة ماسة الى الرومانسية في هذه المرحلة،فهي موجودة،ولكن بحاجة لمن يحررها من القيود.
★ وتقر الموظفة (ز.و) أن الرومانسية موجودة، ولكن (عندي بس..)!
نستطيع أن نتلمس إذن من مجمل آراء مواطنينا هذه،أن الرومانسية ليست خياراً يذهب إليه الإنسان ليقرر الاستعانة به في صياغة مشاعره ومواقفه،بمقدار ما تمثله من حاجة نفسية متأصلة،تتصل بجانبين أساسيين في الطبيعة البشرية: الأول هو رغبة الانسان بالتكيف مع قسوة الحياة وضغوطها فيلجأ الى تلوينها بصبغة أرق مما هي عليه فعلاً،والثاني تفرد عملياته العقلية في قدرتها على صياغة مشهد أكثر جمالية وعاطفية للوجود وهو بذلك يشبه الفنان في إبداعه لأعمال تحاول الارتقاء بالحياة البشرية درجة أعلى.ولذلك نقول،ودون أن نتناسى الآراء المتشائمة التي استمعنا إليها: من المبكر أن نقرأ السلام على الرومانسية،فعلينا أن نفتش لنكتشف مساراتها الجديدة،وربما غير المألوفة،في عالم تتسارع مستجداته بإيقاع يحتاج منا التواصل والمتابعة والأمل.

اقترنت رومانسية البيت العراقي بالصفاء الاجتماعي الذي كان سائداً بين الناس قبل مسلسل الحروب المتعاقبة

الرومانسي كالفنان يحاول الارتقاء بالحياة البشرية إلى درجة أعلى

وفاق اللذة والألم

(المازوخية)

هناك شعور عميق بالذنب يتردد صداه في لا شعور المازوخي

٢-٢

عبد الكريم سليم علي

((المازوخية)) لفظ مشتق من اسم القصصي النمساوي (ليوبولد ساشر مازوخ) (Leopold Zacher Masoch 1836-1895)م، الذي طبع العديد من شخصياته الروائية بطابع التلذذ بالتعذيب والإهانة.ويشير السلوك المازوخي الى سعي الفرد للحصول على اللذة عن طريق الاساءة الى نفسه،وتعذيب ذاته،وتقبل إساءة الآخرين له بأفعال متنوعة،تتمثل مثلاً بتحمل القيود والركل بالأقدام والخنق والصفع والجلد والطعن بالدبابيس والحرق وتشطيب اليدين بآلة حادة والسب المقذع وتجريح الذات.وقد تصل رغبة العدوان تجاه النفس والاستمتاع بمعاناة الألم حد الرغبة بالألم حتى الموت.ويرى علماء النفس أن قدراً من السلوك المازوخي يمكن الإقرار بوجوده بوصفه حالة طبيعية أو مقبولة تظهر في العديد من أوجه النشاط عند معظم الناس،غير أن عدّ هذه الحالة انحرافاً شاذاً يقضي توافر التجاوز لحدود المعقول والمألوف،وبخاصة حينما يصبح تقبل الألم في حد ذاته الغاية من التفاعل مع الآخرين.كما يرى علماء النفس أن مشاعر المازوخية تتضح على نحو كبير في العلاقات الجنسية لدى الانسان أكثر منها في تفاصيل الحياة اليومية الاخرى .

سيكولوجية المازوخية

شأنها شأن الظواهر الإنسانية الأخرى،المازوخية لا تحكمها قوانين مطلقة ولا تفسرها آراء نهائية،ذلك أن الاستجابات السلوكية الظاهرة التي تقع تحت طائلة تقبل الإساءة،كثيرة ومتنوعة.فبعض الباحثين يبدأون تحليلاتهم بعدم إطلاق صفة المازوخية على الكثير من استجابات تقبل الاساءة،كتلك التي تتضمن موافقة سلبية يبقى فيها الألم ألماً ولا يتحول الى لذة،إذ تعد مثل هذه الموافقة ثمناً يترتب على الفرد أن يدفعه مقدماً،كونه مدخلاً فرضته أعراف وقوانين سلطوية وضعية للحصول على الرضا والإشباع،وهذا ينطبق على الكثير من مواقف التفاعل الاجتماعي ومواقف التحرير الانفعالي الذاتي،بمعنى إنها استجابات يمكن تفسيرها تحت طائلة الاذعان والمسايرة والاضطرار للمطاوعة،مع الاقرار بأن ثمة فروقاً ثقافية وحضارية في درجة الموافقة تلك.
كما يستبعد البعض الوصف المازوخي عن جملة أخرى من الاستجابات السلوكية التي تظهر موافقة الفرد على وضع نفسه في درجات أدنى من سلم التقدير،وتحمله وزر موافقته على هذه المكانة عن رضا وليس عن تلذذ لاعتبارات تنشئة اجتماعية طبقية أو أحكام طقوسية تنمّط الفرد للعيش في ظلها.تلك الاستثناءات تشير الى أن العديد من الآراء تجمع على ضرورة ترابط تقبل الألم والإهانة من الآخرين أو من الذات،مع مشاعر اللذة والرضا،لوصف السلوك المازوخي.إلا أن الدكتور (علي كمال) يرى أنه لا يمكن البت فيما إذا كان الشخص الذي يقع عليه الألم سيشعر به كألم،أو إنه سيتحول في إحساسه الى شعور باللذة حتى قبل أن يتحسسه كألم.كما يفسر البعض استجابة السلوك المازوخي على أساس التطبع الشرطي بوصفها استجابة ناجمة عن ارتباطات سابقة بين مشاعر الألم وبين مواقف متعة معينة،أو مكاسب حققها الفرد سابقاً،بمعنى أن الاقترانات الشرطية بين المثيرات والاستجابات،وما يتبعها من تعزيز يفضي الى إشباع،قد تداخلت فيما بينها وارتبطت بشكل حلت فيه مشاعر إحداها محل الأخرى.
وفي تفسير آخر للسلوك المازوخي،يذهب البعض إلى تأويل جملة أخرى من سلوكيات تقبّل الألم وبخاصة تلك التي يمارسها بعض المراهقين والسايكوباثيين،على إنها استجابات ناشئة من الشعور بالنقص ورغبة في حب الظهور واستدرار العطف،فضلاً عن كونها ارتدادات لمشاعر لا واعية ربما تعبر عن رفض الفرد لما آل إليه حاله.
ويرى آخرون ان الاستجابة المازوخية تقوم على أساس توافر الانطباع الذهني المكتسب بالتلقين والتعليم والممارسة اليومية،مثلاً: تتعلم الأنثى في مسار حياتها أن أشكالاً من الألم ضرورية لعملية الإنجاب وفض البكارة.ومثل هذا الانطباع ينمو في ذهن الأنثى الى إستعداد نفسي يحفزها على تقبل الألم من أجل إنجاز دورها الانثوي.
أما علماء التحليل النفسي فإنهم ينظرون الى المازوخية على أنها نتاج التنشئة الاجتماعية وتجارب الطفولة التي ربما ارتبطت من خلال مشاعر الألم والمتعة (وبخاصة الجنسية منها) وما يتبعها من شعور بالإثم والرغبة بعقاب الذات.ويسترسل بعض الباحثين في وصف أوجه العلاقة بين العقاب والذنب بوصفها مدخلاً لدراسة المازوخية،قائلين: إن أقدم الذكريات في عقل كل فرد عن العقاب ترتبط بالوالدين (محوري السلطة والحنان)،إذ إنهما أول من يقوم بتوجيه العقاب إلى الطفل جسدياً أو نفسياً جزاء ذنب ارتكبه،ثم يتولى الضمير هذه المهمة،إلا أن الضمير يتصف بأنه أشد قسوة من الوالدين.فالوالدان قد يغفران،لكن الضمير لا يتساهل.كما إن الضمير بوصفه وخزاً أو شعوراً بالذنب،قائماً على إدراك واضح لمجريات الأحداث،قد يعاقب على النية،كما يعاقب على الفعل.وكثيراً ما تصيب عذابات الضمير الفرد بالانهيار النفسي،وربما تؤدي صور عنيفة منه الى قيام الفرد بإيذاء نفسه وربما الانتحار.إن الشعور بالذنب وقلق الضمير إحساسات أليمة،سرعان ما يمارس الفرد حيالها آليات دفاعية للحفاظ على نفسه وبقائه في درجة أعلى من التكيف،ومنها آلية الكبت،فينسى الفرد ظروف وملابسات الأحداث،إلا أن ذلك - وطبقاً لنظرية التحليل النفسي - لا يعفيه من شعور عميق بالذنب يتردد صداه من دهاليز اللاشعور متبلوراً بهيئة إحساس يجعل الفرد مستفزاً يحاسب نفسه حتى على أعمال ربما لا تعد مثار لوم.ومع ارتقاء فكرة أن المذنب إذا حل به العقاب يكون قد كفّر عن ذنبه وخفف من وخزة الضمير تماشياً مع الأعراف والتقاليد والنواميس الانسانية،فإن ارتباطاً بين ألم الضمير واستجابة العقاب سيأخذ مكانه في شخصية الفرد،بحيث يصبح العقاب المخرج من ألم الضمير،وحيلة دفاعية ضد الشعور بالذنب تؤدي بشكل أو بآخر الى الارتياح والرضا.وفي هذا السياق يفيد فرويد في ((محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي)) : إن أصل الحاجة اللاشعورية الى عقاب النفس لم يعد مثار شك، ذلك بأن الحاجة تتصرف كما لو كانت جزءاً من الضمير،كما لو كانت امتداد الضمير في اللاشعور،أي انها (والقول لفرويد) بمثابة قطعة من العدوان تبطنها الفرد واستحوذ عليها الأنا الاعلى (الانا الاعلى =الانا المثالي + الضمير).ويفيد فرويد :إن المازوخية تتأتى عن وجود كميات متفاوتة من غريزة الهدم التي يمتلكها الانسان،ولا نستطيع إدراكها إلا حين تلتحم بالغرائز الشهوية.

جدلية السادية والمازوخية

وفي دائرة العلاقة بين السادية والمازوخية،وطبقا لنظرية التحليل النفسي،فإن المازوخية تعد القطب المعاكس للسادية في محور السادومازوخية.ويقوم تفسير فرويد لهذه العلاقة على أساس جملة طروحات تفترض وجود غريزتين لدى الانسان، إحداهما للحياة (ايروس) والاخرى للموت (ثاناتوس) تحددان السلوك البشري.الأولى تقف وراء كل سلوك يؤدي الى إقامة علاقات إيجابية بناءة وأداء أفعال إبداعية خلاقة،والثانية أساس كل سلوك عدواني مدمر.وإن كانت الغريزتان متلازمتين فإن لغريزة الحياة أسبقية منطقية،ولكن لغريزة الموت غلبة فعلية.ومن خلال صراع الغريزتين وتفاعلهما مع طاقة اللبيدو في مواقف الحياة اليومية (وبخاصة الجنسية) وما تتضمنه هذه المواقف من خبرات إشباع أو إحباط، وتحت وطأة مقتضيات تفاعل أنظمة الشخصية،تنبثق النزعات السادية أو المازوخية.وكل من النزعتين تتضمن عناصر عدوانية وتدميرية،فالاولى تتعلق بالتلذذ بتعذيب الآخر،والثانية ترتبط بتعذيب الذات والاستمتاع بالألم والتلذذ به.والنزعتان - والرأي لايزال لعلماء التحليل النفسي - غير منفصلتين،بل الغالب إنهما تجتمعان معاً أو تجري بينهما عملية تحويل أو إبدال لا شعوري،فإذا حال الواقع دون وقوع النزعة السادية يتحول الايذاء لا شعورياً الى الفرد نفسه ويصبح مازوخية ثانوية تدعم المازوخية الاولية (الأصلية)،وتصبح المازوخية في هذه الحالة امتداداً لسادية تحولت نحو الذات التي استبدلت بالموضوع.وغالباً ما يصاحب هذه النزعات طاقة وجدانية مشحونة بالانتقام والخوف والاحساس بالإثم.
وفي معرض إخضاع سلوك (ساشر مازوخ) نفسه للوصف والتحليل،فقد ربط المحللون بين ماضي مازوخ وسلوكه اللاحق،وبخاصة تلك الحادثة التي استدعت اهتمام الكثيرين،وتتلخص في أن مازوخ في طفولته كان يعيش مع عمته، التي كانت تعاشر عشيقاً لها بين الحين والآخر،وقد دفعه حب الاستطلاع إلى الاختباء مرة في دولاب ثيابها ليشاهد ماكان يرغب بمشاهدته،وبينما كان مازوخ يرصد مايجري في الغرفة بدرت منه حركة أثارت انتباه عمته فاكتشفت أمره وعاقبته بضرب مبرح ومؤلم.ويرى المحللون أن ثمة ارتباطاً قد حدث بين الألم الذي وقع على مازوخ وبين لذة المشاهدة،وإن هذا الارتباط قد تأصل في نفس مازوخ الى درجة جعل من الممكن قيام اعتماد متبادل بين اللذة والألم.
وعلى أي حال ما زالت التأويلات والافتراضات حول السلوك المازوخي قيد الدراسة، وما زال المزيد من الافتراضات يحتاج الى جهود للبرهنة والتأكيد .